الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي في مدينة مصراتة "جامع الجمعة العتيق كحالة دراسية"

د. محمود عبد الكريم قريو
جامعة مصراتة، قسم العمارة والتخطيط العمراني
ataoffice2008@yahoo.com

د. أيمن محمد المقلفطة
جامعة مصراتة، قسم العمارة والتخطيط العمراني
elmagalfta@gmail.com

د. إبراهيم عبد الله شنبيرة
جامعة مصراتة، قسم العمارة والتخطيط العمراني
nbira@yahoo.com

الملخص ـــ **تتميز مدينة مصراتة بالعديد من المباني الإسلامية, ومن بينها المساجد التي تعتبر من أهم المعالم التاريخية والأثرية التي تزخر بها هذه المدينة, والتي يتوجب الإعتناء بها والمحافظة عليها وترميمها حسب الأسس والمعايير المطلوبة. وفي هذه الورقة تم دراسة جامع الجمعة العتيق بمنطقة الزروق بمصراتة كأحد أقدم المساجد بالمدينة, وكيفية الحفاظ عليه وترميمه بإتباع الطرق والأساليب المستخدمة في الترميم. وتناولت هذه الدراسة مشكلة البحث المتمثلة في الأضرار والتشوهات التي لحقت بهذا المعلم التاريخي نتيجة الإهمال والظروف المناخية, كما تناولت الدراسة أيضاً الأهداف المتمثلة في إبراز القيمة المعمارية والحفاظ على الموروث التاريخي لجامع الجمعة العتيق, بالإضافة إلى تسليط الضوء على أهم مواد البناء المستخدمة في إنشائه, إلى جانب دراسة ومعرفة بعض طرق الحفاظ والترميم. وأعتمدت الدراسة في منهجيتها على المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال جمع المعلومات والبيانات من الكتب والمراجع, بالإضافة إلى عمل زيارات ومسح ميداني وتصوير فوتوغرافي ومقابلات شخصية لغرض الحصول على معلومات وبيانات أكثر حول العوامل البيئية المؤثرة, وتوصل الباحثون في نهاية الورقة إلى جملة من الإستنتاجات أهمها أن جامع الجمعة العتيق بمنطقة الزروق كغيره من المساجد يعاني من بعض التصدعات والشروخ والرطوبة في الجدران والأسقف, وأن أعمال الترميم السابقة التي أجريت له كانت بمجهودات ذاتية ولم تكن في المستوى المطلوب من حيث مراعاة الأسس والمعايير وأيضاً لقلة الإمكانيات, وعدم الإهتمام من قبل الجهات المسئولة وقلة الإمكانيات المتاحة لهيئة الأوقاف للقيام بواجباتها, وعدم وجود أسس ومعايير موحدة للترميم والحفاظ. وقد ختم الباحثون ورقتهم بمجموعة من التوصيات الهامة من بينها إجراء مسح ميداني ورفع مساحي للجامع وإعادة توثيقه بالتاريخ والصور لكي يمكن الرجوع إليه وقراءته من قبل الباحثين في المستقبل. مع ضرورة صيانة وترميم العناصر المعمارية والإنشائية للجامع, بالإضافة إلى نشر الوعي الثقافي المعماري حول التراث وطرق الحفاظ عليه وذلك من خلال إجراء الندوات والمؤتمرات واللقاءات بين المختصين والمهتمين بهذا المجال, إلى جانب عدم موافقة من تقع عليهم مسئولية المسجد على أي نوع من الصيانات أو الإضافات إلا بإشراف ذوي الإختصاص, والعمل على إدراج الحفاظ على التراث وترميم المباني من ضمن المناهج بالمؤسسات الأكاديمية ذات الإختصاص, مع مراعاة الإستدامة في مشاريع الترميم والحفاظ عليها والتي ستعود على الجميع بالفائدة المرجوة.**

الكلمات المفتاحية : **الحفاظ على التراث, جامع الجمعة العتيق, التراث المعماري, القيم التاريخية, الترميم, الموروث التاريخي.**

1. المقدمة

يعبر التراث المعماري على أصالة وعراقة الشعوب, فلا حاضر بدون ماضي ولا مستقبل بدون حاضر لذا فإن العديد من دول العالم اليوم بدأت تهتم به من حيث حمايته وترميمه والمحافظة عليه من الدمار والإنهيار بإستخدام جميع الطرق والوسائل المتاحة. وتعتبر ليبيا كغيرها من دول العالم العربي والإسلامي التي تتمتع مدنها بالعديد من المباني الأثرية ذات الطابع الإسلامي ومدينة مصراتة إحدى هذه المدن التي تزخر بوجود مباني لها قيمة حضارية وتراثية وخاصةً المساجد والزوايا التي إنتشرت على رقعة واسعة من المدينة ولكنها للأسف تحتاج إلى عمليات ترميم وصيانة نظراً للظروف البيئية والطبيعية والمناخ السائد.

استلمت الورقة بالكامل في 7 نوفمبر 2018 وروجعت في 27 نوفمبر 2018 وقبلت للنشر في 28 نوفمبر 2018

ونشرت ومتاحة على الشبكة العنكبوتية في 29 نوفمبر 2018

حيث أن بقاء هذه المباني الدينية والحفاظ عليها يتوقف على سرعة صيانتها وترميمها وفق أسس علمية صحيحة حتى يمكن إستخدامها بشكل آمن ويحافظ على التراث المعماري التاريخي للمدينة.

2. مشكلة البحث

تتمثل مشكلة الدراسة في تعرض الكثير من المباني ذات القيمة التراثية والتاريخية في بلادنا عامةً وفي مدينة مصراتة خاصةً ومن بينها المساجد إلى كثير من الأضرار والتشوهات نتيجة لإهمالها وعدم صيانتها من قبل الجهات المسئولة من جهة ومن جهة أخرى نتيجة العبث والتعدي عليها من قبل البعض وقد تم في هذا البحث تسليط الضوء على مسجد الجمعة بالزروق كأحد هذه النماذج.

3. أهداف البحث

1. إبراز التراث المعماري والقيمة التاريخية لجامع الجمعة العتيق بمنطقة الزروق بمدينة مصراتة.
2. التعرف على طرق البناء المستخدمة قديماً في تشييد وبناء المباني ذات القيمة التراثية.
3. معرفة مواد البناء التي أستخدمت في إنشاء جامع الجمعة العتيق سواءً كانت قطع صغيرة من الحجر المخلوط بالملاط أو الحجر الرملي أو أنها جلبت من العمائر الرومانية القديمة.
4. تسليط الضوء على بعض المحاولات المحلية لترميم وصيانة جامع الجمعة العتيق بالزروق.
5. توثيق هذه المعالم المعمارية والتراثية لغرض الحفاظ عليها وإنقادها من العبث والتعديات.

4. أهمية البحث

1. الحفاظ على الموروث التاريخي والتراث المعماري لجامع الجمعة العتيق.
2. تعتبر هذه الورقة من الورقات الأولى التي أهتمت بموضوع الحفاظ والترميم بالنسبة للتراث المعماري الإسلامي في مدينة مصراتة.
3. تعتبر المساجد من أهم المعالم المعمارية الإسلامية الواجب الحفاظ عليها وحمايتها من التلف والدمار.

5. حدود البحث

1. حدود موضوعية : تناول هذا البحث الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي الذي لها قيمة تراثية وتاريخية من خلال العوامل البيئية المؤثرة على المباني التراثية وطرق وأساليب الحفاظ على الموروث التاريخي.
2. حدود مكانية : أجري هذا البحث والدراسة الميدانية على جامع الجمعة العتيق بمنطقة الزروق بمدينة مصراتة.
3. حدود زمانية : تم إعداد وإجراء هذا البحث في الفترة الزمنية الممتدة من بداية شهر مايو إلى بداية شهر نوفمبر 2018 م.

6. منطقة الدراسة

تقع مدينة مصراتة في الجزء الشرقي من إقليم طرابلس على ساحل البحر الأبيض المتوسط [27]. عند النهاية الغربية لخليج سرت عند إلتقاء خط الطول 15/6 شرقاً وخط العرض 32/23 شمالاً وعلى إرتفاع 6 متر على مستوى سطح البحر وتبعد عن العاصمة طرابلس 210 كم في إتجاه الشرق وعلى بعد 820 كم من مدينة بنغازي في إتجاه الغرب. ويحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الغرب مدينة زليتن ومن الشرق مدينة سرت ومن الجنوب مدينة بني وليد, وتتمتع المدينة بمناخ البحر الأبيض المتوسط والذي يتميز بأنه حار جاف صيفاً دفيء ممطر شتاءً. وأن معظم أراضيها منبسطة وصالحة للزراعة ولا توجد بها جبال أو هضاب مرتفعة [14]. ويقدر عدد سكانها بحوالي (354666) ألف نسمة حسب تعداد سنة 2015 م يعيش معظمهم في قرى ذات كثافة عالية وحرفهم الأساسية الزراعة والتجارة والصناعات اليدوية وتبلغ مساحة المدينة حوالي (4500) كم مربع. تنتشر في قراها العديد من المباني الإسلامية كالمساجد والزوايا ومن أهمها جامع الشيخ, وجامع المحجوب, وجامع الجمعة العتيق موضوع البحث (شكل 1).

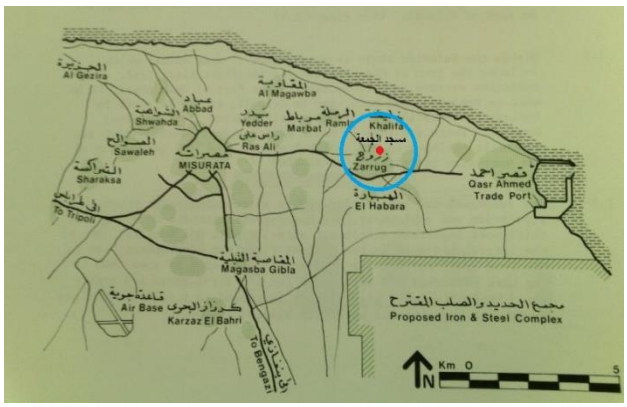

شكل 1. يوضح موقع جامع الجمعة العتيق من مدينة مصراتة [27]

7. التعريفات والمصطلحات

الحفاظ : Preservation

هو مصطلح عام يشمل جميع النواحي المتعلقة بحماية المعلم التاريخي أو الموقع الأثري بحيث يحافظ على أهميته الحضارية وتكون مهمة الحفاظ تبعاً لأهمية الأثر الحضاري والظروف المرتبطة به.

التراث : Heritage

هو المخزون التراثي وخاصةً المعماري لأي موقع أو إطار ثقافي أو فني أو فكري.

الآثار : Archaeology

يطلق على كل ما أنشأه الإنسان أو له علاقة بالتراث الإنساني ويرجع عهده إلى أكثر من مائة عام [13]. طالما له قيمة تاريخية مرتبطة بالموقع.

التراث الحضاري :

هو ما يسمى بالآثار القديمة ويشمل كل ما خلفه لنا أجدادنا من تراث حضاري قديم مثل الآثار بكل أنواعها والرسوم والنقوش وغيرها.

المداخلات التراثية المعمارية : Architectural Heritage Intervention

وهي المداخلات التي تقام في المواقع الأثرية المعمارية بمختلف أشكالها من ترميم وإضافات وإعادة تأهيل وإستخدام المبنى.

المدن القديمة : Old cities

هي كيان معماري متجانس أو مستقل أو متكامل ضمن حدود متعارف عليها وتشمل المساكن والمدارس والمساجد والأسواق والشوارع والحدائق وكافة المعالم والشواهد والآثار داخل الأحياء والمدن القديمة مما مضى على إنشائها مائة عام فأكثر أو التي شهدت حدثاً تاريخياً هاماً ولو لم تمض عليها هذه المدة [18].

التراث المعماري : Architectural Heritage

هو عبارة عن المباني والمواقع التاريخية التي لها علاقة بالمدينة ويمكن إعتبارها ذات قيمة مهمة وتاريخية ويمكن أن تستفيد منها الأجيال القادمة ولها دور مهم في صنع الحاضر والمستقبل [15].

التراث العمراني : Urban Heritage

هو عبارة عن تراث ذو أهمية كبيرة وهو الإطار الذي يحوي كل ما يتصل بحياة الشعوب والأمم من المدن القديمة والقلاع والحصون وباقي المعالم التاريخية والأثرية الباقية [15].

المنطقة المحظورة : Prohibited Area

المنطقة المحظورة تعني منطقة المعالم المحمية ذات الأهمية الوطنية والمعلن عنها وتمتد لمسافة 100 متر في جميع الإتجاهات [26].

المنطقة الخاضعة للتنظيم : Regulated Area

المنطقة الخاضعة للتنظيم تعني منطقة المعالم والمواقع الأثرية والمواقع الأثرية القديمة ويتم الإعلان عنها أنها ذات أهمية وطنية وتمتد لمسافة 200 متر في كل إتجاه [26].

8. منهجية البحث

منهج الدراسة :

تم إستخدام المنهج الوصفي وذلك لغرض جمع المعلومات والبيانات لتحقيق أهداف البحث الملائمة لطبيعة الدراسة, بالإضافة إلى المنهج التحليلي وذلك لتحليل هذه المعلومات والبيانات التي تم جمعها للوصول إلى نتائج ومن تم التوصل إلى مقترحات وتوصيات تدعم البحث وقد تم إستخدام جملة من الأدوات للحصول على المعلومات والبيانات اللازمة.

مصادر الدراسة:

1. الكتب والمراجع والمصادر.
2. الدراسة الميدانية والتصوير الفوتوغرافي والمقابلات الشخصية التي قام بها الباحثون والتي شملت الهيئة العامة للأوقاف بمدينة مصراتة وجامع الجمعة العتيق بمنطقة الزروق إعتباراً من يوم الخميس الموافق 16 أغسطس 2018 م وحتى الإنتهاء من إعداد البحث.
3. شبكة المعلومات الدولية.

9. الدراسات السابقة

من خلال البحث والإطلاع يمكن القول بأنه لا توجد دراسات سابقة في هذا الموضوع وفي هذه المدينة وعلى ذات المبنى (جامع الجمعة العتيق) ولكن وجدت دراسات أخرى على الصعيدين العربي والدولي يمكن إعتبارها دراسات مشابهة والإستفادة منها وهي كالتالي :

أ. الدراسة الأولى : للباحث د. محمد بن هاوي با وزير (2009):

تحت عنوان "إشكالية الحفاظ على التراث العمراني والمعماري التقليدي في اليمن وعلاقة المعماريين والأثريين والمؤرخين بعملية الحفاظ" يقول فيها بأن المعالم العمرانية والمعمارية العتيقة باليمن مهددة بالخطر إما بالسقوط أو الزوال بسبب عوامل كثيرة منها العبث أو الإهمال أو بسبب الزحف العمراني أو الكوارث الطبيعية أو البيئية كالأمطار والسيول لذا يجب إتخاذ التدابير اللازمة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من تراث اليمن [12].

ب. الدراسة الثانية : للباحثة د. نزهات مفتاح البوعيشي (2015):
تحت عنوان "القيم الجمالية الإسلامية للعناصر المعمارية في جامع مصطفى قرجي" تقول فيها بأن فن المعمار الإسلامي في ليبيا كان مميزاً بسبب موقعها الجغرافي بالرغم من تأثره بالطرز المغربية والعثمانية إلا أن الظروف التي مرت بها ليبيا لم يتم الحفاظ عليها بالإضافة إلى عدم صيانتها ولعل جامع مصطفى قرجى كان أحد معالمها [14].

ج. الدراسة الثالثة : للباحث م. حسام عبد السلام باش إمام (2016):
تحت عنوان "التراث العمراني في ليبيا" يقول فيها بأن الأراضي الليبية نشأت عليها العديد من الحضارات بدأت بحضارات ما قبل الميلاد إلى العصر الحديث وخصوصا في صحراء أكاكوس وواحات الجنوب الليبي بالإضافة إلى العصر الفينيقي والروماني في لبدة وصبراتة وأويا, والعصر الإغريقي المتمثل في مدن قورينا وأبولونيا مروراً بالعصر الإسلامي في فترة ما قبل العثمانيين إلى العهد الإيطالي ودلت على هذه الحضارات فن العمارة و النقوش والزخارف المختلفة [11].

د. الدراسة الرابعة : للباحثة د. رولا نتيفة وآخرون (2014):
تحت عنوان "العودة إلى التراث في العمارة العربية المعاصرة في ظل الإستدامة" تقول فيها وإستجابةً لدعوات الغرب بضرورة عولمة الحضارة الإنسانية والإستفادة من دعوة المعماريين للإستفادة من التراث وإستخدام الموروث المعماري في الواجهات والمعالجات التصميمية للأبنية المشيدة في ظل العمارة المستدامة [19].

10. العوامل البيئية والمظاهر المؤثرة على المباني التراثية

أ. عوامل ومظاهر تلف فيزيو كيميائية

1. تأثير الحرارة :

تختلف درجة حرارة المباني التراثية من مبنى إلى آخر حسب مصدر إنبعاثها من سقوط أشعة الشمس على المبنى إلى ضوء النهار وصولاً إلى الضوء الناتج عن إستخدام أجهزة الإضاءة الصناعية الأمر الذي يؤثر سلباً على هيكل المبنى من حيث الإرتفاع والإنخفاض في درجات الحرارة وبما أن جامع الجمعة العتيق يقع في مدينة مصراتة التي تتمتع بمناخ البحر المتوسط والذي يتميز بأنه حار جاف صيفاً دفيء ممطر شتاءً, وحسب محطة الأرصاد الجوية بالمدينة في الفترة من (2005-2010) فإن متوسط درجة الحرارة السنوية هي (20) درجة مئوية (شكل 2) حيث تتسبب درجة الحرارة في تلف مواد البناء عامةً والطوب الحجري نظراً لما تسببه من بخر سريع للسوائل الحاملة للأملاح [8].

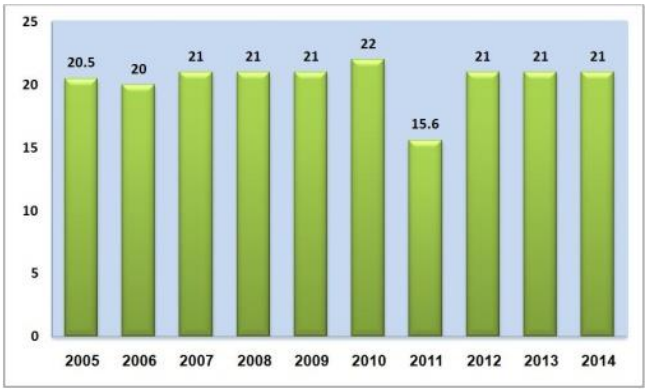

شكل 2. يوضح متوسط درجة الحرارة في مصراتة

في الفترة من (2005- 2014) [الباحثين]

2. تأثير الرطوبة النسبية :

عادةً إرتفاع الرطوبة النسبية ينتج عنه نمو كبير في الفطريات والبكتريا والتي بدورها يكون لها مردود سيء على العناصر المعمارية المكونة للمباني التاريخية وعلى حسب محطة الأرصاد الجوية بالمدينة فإن متوسط الرطوبة النسبية السنوية كان (69) في الفترة من (2005 - 2014) و(شكل 3) يوضح متوسط الرطوبة السنوية في مصراتة و(شكل 4) يوضح متوسط كمية الأمطار السنوية في مصراتة [8].

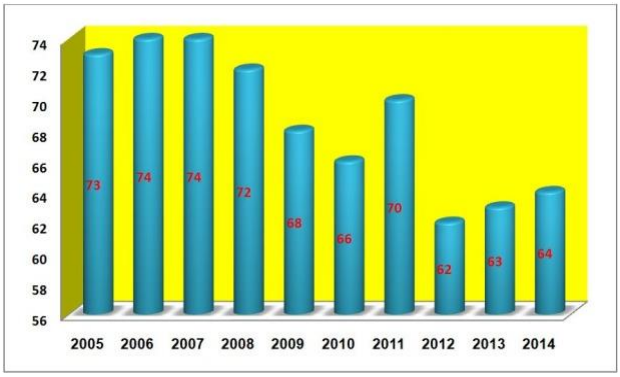

شكل 3. يوضح متوسط الرطوبة النسبية السنوية في مصراتة

في الفترة من (2005- 2014) [الباحثين]

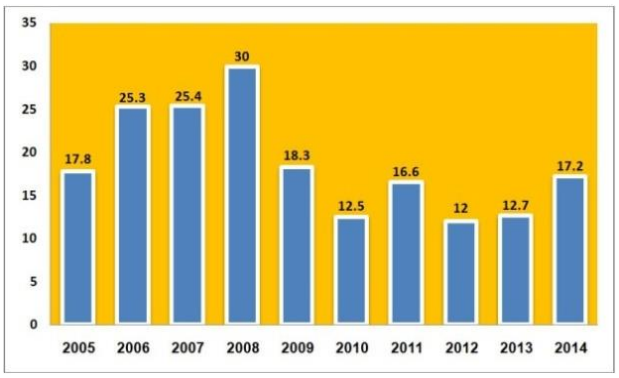

شكل 4. يوضح متوسط كمية الأمطار في مصراتة

في الفترة من (2005- 2014) [الباحثين]

3. تأثير الرياح :

تؤثر الرياح بشكل كبير على المباني التراثية من خلال تسببها في إثارة الأتربة والرمال وتحدث تشققات في الجدران كما تتسبب الرياح القوية في هدم المباني ونخر وتعرية الأسطح وعادةً ما تبدأ بالنسيم ثم رياح خفيفة ثم رياح قوية ثم عاصفة لتنتهي بزوابع وأعاصير وعلى حسب محطة الأرصاد الجوية بالمدينة فإن متوسط سرعة الرياح السنوية كان (8 كلم / ساعة) في الفترة من (2005 - 2014) و(شكل 5) يوضح متوسط سرعة الرياح السنوية في مصراتة وعادةً ما يكون هبوبها سيء على المباني التراثية وأن أشهر الرياح السائدة في مصراتة هي الرياح الشمالية الشرقية والرياح الغربية العكسية الممطرة ورياح القبلي القادمة من الجنوب وعادةً ما تكون محملة بالأتربة والغبار [8].

4. تأثير الأملاح :

تعتبر الأملاح أحد أهم العوامل المؤثرة في تلف مواد بناء المباني التراثية المتمثلة في الأحجار والمونة نظراً لما تتميز به هذه المواد من مسامية عالية وخصوصاً عند إتحادها مع الماء وتنتج الأملاح بعدة وسائل منها المياة الجوفية والمياة الرمادية والتربة أسفل الأساسات [8].

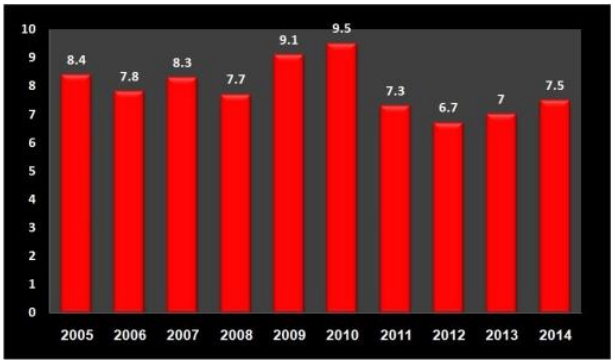

شكل 5. يوضح متوسط سرعة الرياح في مصراتة

في الفترة من (2005- 2014) [الباحثين]

5. تأثير التلوث الجوي :

ينتج تلوث الهواء من خلال مصدرين أساسيين أحدهما طبيعي ناتج عن حدوث العواصف والبراكين وحرائق الغابات وغيرها من المصادر التي تحدث للطبيعة بينما المصدر الثاني صناعي ينتج من خلال النشاطات البشرية وكلاهما يؤثر سلباً ويتلف مواد البناء الخاصة بالمباني التاريخية من خلال ما تنتجه من غازات تختلط بالأمطار وتسمى بالأمطار الحامضية أو من خلال عمليات الترسيب الجاف التي تصل إلى سطح الحجر على هيئة غازات تذوب في المياة الموجودة على أسطح الأحجار [8].

ب. عوامل ومظاهر تلف بشرية :

ترجع هذه العوامل إلى وعي وثقافة المجتمع بالدرجة الأولى من حيث حجم ونوع التدخلات البشرية والظروف البيئية المحيطة التي تؤثر على مستقبل التراث المعماري كالتشوه البصري والتلوث البيئي وتأثيرها أيضاً على القيمة المعمارية لهذه المباني.

ج. عوامل ومظاهر تلف بيولوجية :

تتمثل في الكائنات الحية الدقيقة كالبكتريا والفطريات التي تساعد على تفتت مواد البناء وتؤدي إلى إضعافها. بالإضافة إلى نمو بعض النباتات والشجيرات على الجدران والأسطح وخصوصاً في الشقوق والحفر مما قد يتسبب في تصدعها مستقبلاً كما أن لأوكار الطيور وأعشاشها وبعض الحشرات لها تأثير آخر على هذه المباني وإضعافها من حيث تواجدها في الشقوق والحفر وعبثها بمواد البناء.

د. عوامل ومظاهر تلف إقتصادية :

هذه العوامل ترجع إلى إرتفاع تكاليف الصيانة والترميم من حيث إرتفاع ثمن المواد والعمالة الفنية وتطبيق المعايير الأمر الذي قد يؤدي إلى إجراء عمليات صيانة بسيطة ربما تزيد من حالة تدهور المبنى.

هـ. عوامل ومظاهر تلف أمنية :

أساليب الترميم والحفاظ تحتاج إلى إستقرار بالدرجة الأولى وقوانين تنظم آلية العمل وبالنظر إلى بلادنا وما تعانيه من إنعدام الأمن يصعب الحفاظ على مثل هذه المباني في ظل الظروف الراهنة حيث أن الأوضاع الأمنية في البلاد تؤثر على المباني الأثرية والتاريخية من حيث تعرض هذه المباني للدمار والخراب وأحياناً إلى السطو.

11. أساليب وطرق الحفاظ على الموروث التاريخي

ويقصد بها جميع عمليات الحفاظ والإعتناء بالمباني ما بحيث تحتفظ بأهميتها التاريخية أو المعمارية أو الجمالية وإيقاف عوامل تدهورها كالأضرار الناجمة عن المياة والرطوبة أو الإستعمال السيء الذي قد يؤدي إلى تدهور حالتها الإنشائية ويتم إيقاف تدهورها بالتعامل معها بأقل ما يمكن من التدخل لغرض إعادة ترميمها أو إعادة تأهيلها وإستغلالها وفيما يلي أهم أساليب الحفاظ على الموروث التاريخي والمباني التراثية المنصوص عليها حسب المواثيق والأعراف الدولية ومنها ميثاق أثينا وميثاق فلورنسا وميثاق لاهور والتي أقرتها منظمة اليونسكو [24]. كأساليب للتسجيل والتعامل مع المباني التراثية والأثرية يمكن تلخيصها كالتالي :

أ. التوثيق :

وهي أول خطوات الحفاظ التي يجب أن تحظى بها المباني وتعتبر من أهم الإجراءات التي يجب أخذها بعين الإعتبار عند تقييم المباني وترميمها [8]. وتتمثل في جمع كل المعلومات والحقائق عن طريق وصف ورسم العناصر المكونة للموقع.

ب. الحفاظ : Preservation

هو فحص الآثار المختلفة وتعيين خصائصها الفيزيائية والكيميائية على أسس علمية وإختيار أنسب وأنجع الطرق والأساليب لصيانتها وحمايتها من التلف في الحاضر والمستقبل [19]. ويعبر عنه بأنه هو الإبقاء على حالة المبنى كما هي والمحافظة عليها قدر الإمكان بإستخدام طرق ووسائل مختلفة [26].

ج. الصيانة : Maintenance

وهي عملية صيانة الأجزاء المصابة أو المتضررة من المبنى أو يمكن صياغتها بشكل آخر وهي عملية تثبيت المبنى القائم بإستخدام مواد جديدة تكون بنفس المواد المفقودة قدر الإمكان دون تغيير.

د. التقوية : Consolidation

وهي إضافة مواد تعمل على تثبيت وتقوية المبنى نتيجة تدهوره أو حدوث تصدع أو شروخ أو إنهيار في بعض أجزائه ولذلك يلزم إتخاذ كافة الإحتياطات اللازمة أثناء التعامل مع هذه المباني الضعيفة سواءاً من الداخل أو الخارج حتى يتم ترميمها بصورة طبيعية [24]. أمام العوامل البيئية المختلفة.

هـ. الترميم : Restoration

وهي إعادة بناء الموقع القائم إلى حالته السابقة بشرط إزالة الإضافات أو إعادة تجميع العناصر القائمة دون إدخال إضافات جديدة أو ترميم أجزاء أخرى من المبنى [14]. ويكون ذلك بعدة طرق وأساليب وبنفس المواد المستخدمة سابقاً مع ضرورة تمييز القديم منها عن الحديث إن أمكن ذلك وفق أسس وأساليب الترميم المتبعة منعاً للأخطاء التي قد تحدث وتؤدي إلى ضياع القيمة التاريخية أو الفنية للمبنى [24].

و. التأهيل : Rehabilitation

هو عملية تعديل المبنى ليكون ملائماً للإستخدام المغاير لإستخدامه الأصلي بشرط ألا ينتقص بدرجة كبيرة من أهميته الحضارية [13]. وطابعه المعماري والتراثي وعادةً ما يكون تأهيل المبنى لأغراض إقتصادية [24].

ي. إعادة الإعمار : Reconstruction

إعادة الإعمار تعني عملية إعادة المبنى قدر الإمكان إلى حالته السابقة المعروفة وتميزها بإدخال مواد (جديدة أو قديمة) في النسيج إعتماداً على دقة توثيق المبنى [26]. وبناءاً على خبراء التراث المعماري وذلك لتحقيق أهداف إجتماعية أو قومية كإحياء منطقة أو مبنى له قيمة أو أهمية تراثية ويفضل إعادة المبنى الحديث بنفس شكل المبنى القديم كلما أمكن ذلك [24].

12. الدراسة المعمارية لمسجد الجمعة العتيق

أ. نبذة تاريخية :

يعتبر جامع الجمعة العتيق أحد أقدم المساجد التي بنيت في مدينة مصراتة (شكل 6) وذلك في فترة قريبة من مسجد بن غلبون بالملايطة وأبوشعيفة بالميناء القديم ومسجد الغلبان بالمنقوش ومسجد إبراهيم

المحجوب وهي مساجد صغيرة أغلبها تم تسقيفها بواسطة قباب صغيرة وهو ما يميز طابعها المعماري في تلك الفترة [2]. ويعود تأسيسه للقرن الثالث عشر الميلادي [23].

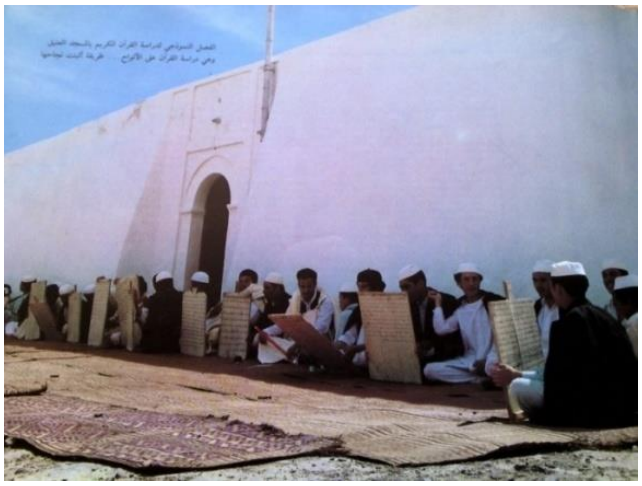

شكل 6. يوضح طريقة تعليم القرآن للطلاب أمام جامع الجمعة العتيق [9]

ب. *الموقع العام :*

يقع جامع الجمعة العتيق في منطقة الزروق شرق مدينة مصراتة ويبعد (6 كم) عن مركز المدينة (شكل 7) ويبعد عن مسجد الزروق الحديث بحوالي (400) متر [1]. وسمي بمسجد الجمعة لأن الشيخ أحمد الزروق كان يلقي دروسه به ويعلم القرآن ويؤم فيه المصلين يوم الجمعة [9].

شكل 7. يوضح الموقع العام لجامع الجمعة العتيق [Google earth.2018]

ج. *بيت الصلاة :*

عبارة عن شكل مستطيل أبعاده (16*11) متر يحتوي على (5) أروقة مغطاة بواسطة قباب صغيرة بإستثناء الرواق الخامس في الشمال الشرقي فهو مسقف بواسطة قبو طولي نصف برميلي عمودي على جدار القبلة وفي نهاية الرواق الخامس سقف بقبة أخرى صغيرة بحيث يصبح مجموع القباب (17) قبة صغيرة ترتكز هذه القباب على أعمدة دائرية ذات تيجان بسيطة عددها (12) عمود تعلو الأعمدة عقود موازية لجدار القبلة بإستثناء الرواق الخامس (الشمالي الشرقي) فإن العقود عمودية على جدار القبلة يبلغ عدد الدعائم الداخلية (16) دعامة مربعة الشكل ومتبثة في الجدران وترتكز عليها بقية العقود المتصلة بالجدران (شكل 8) يوضح المخطط الأفقي للمسجد [1].

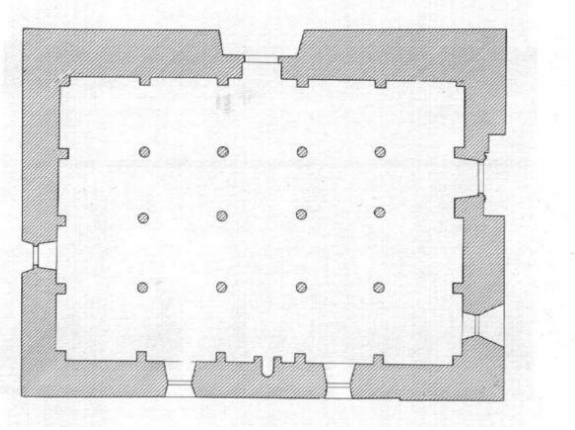

شكل 8. يوضح المخطط الأفقي لجامع الجمعة العتيق [1]

د. *جدار القبلة :*

وهو الحائط الرابع من بيت الصلاة من جهة القبلة والذي يستند عليه المنبر الخشبي ويكون غائراً فيه المحراب وفيه نافذتا بيت الصلاة.

هـ. *المنبر :*

هو عبارة عن سلم خشبي بدون زخارف يحتوي على أربع درجات ويقع على يمين المحراب [1]. وهو غير موجود حالياً حيث تمت إزالته بعد نقل الجمعة إلى مسجد الزروق الحديث.

ح. *فتحات الأبواب والنوافذ :*

يوجد بالمسجد عدد (2) أبواب مستطيلة وهذه الأبواب تم صيانتها وتجديدها من الحديد الصاج أحدهما في الجهة الشمالية الشرقية والآخر في الجهة الشمالية الغربية وكلاهما بمقاس (2.15*1.15) م بينما فتحات النوافذ عددها (4) وضواية أعلى المحراب وزعت هذه النوافذ كالتالي اثنتان في جدار القبلة بمقاس (0.75 * 1.00) م ونافذة في الجهة الشمالية الشرقية بمقاس (0.70 * 1.13) م والأخيرة في الواجهة الشمالية الغربية بأبعاد (0.65 * 1.10) م وهي عبارة عن ضلف ألمونيوم وزجاج من الداخل وحديد حماية من الخارج. (شكل 9) يوضح المدخل الرئيسي للمسجد.

شكل 9. يوضح منظور خارجي لواجهة المدخل الرئيسي لجامع الجمعة العتيق [9]

ع. *الميضأة :*

وهي عبارة عن أماكن الوضوء تقع في الجهة الشرقية من المسجد وسقفها عبارة عن جذوع وجريد النخيل مغطي بطبقة من الملاط ويوجد بها دورات للمياة بالإضافة إلى (12) صحن للوضوء وكلاهما تتغذى

بالميـاة مـن بئـر المسـجد [1]. وقـد تهـدمت هـي الأخـرى وأزيلـت.

ل. الأعمدة :

وهي أعمدة قديمة موجودة ببيت الصلاة عددها (12) عمود وظيفتها حمل القباب الصغيرة عن طريق الأقواس والعقود وهي منقولة من عمائر قديمة. أما الدائرية محيطها من (140- 154)سم وإرتفاعها (1.5) متر. أما الأعمدة المستطيلة الغائرة في الحائط مقاسها (43*30) سم وبنفس الإرتفاع.

م. القباب :

وهي عبارة عن بناء دائري مقعر من الداخل ومقبب من الخارج عددها (17) قبة صغيرة سقف بها بيت الصلاة وهي مشيدة من الحجر الرملي المخلوط بالملاط مرفوعة على أعمدة في الوسط ودعائم تستند إلى الجدران في الأطراف.

ن. المحراب :

عبارة عن تجويف منحوت في الجدار [10]. يتوسط جدار القبلة يحيط به من الجانبين عمودان على شكل مربع بهما تجاويف عمودية غائرة يعلوهما عقد نصف دائري تعلوه زخارف لولبية داخل إطار مستطيل أعلاه إطارات مستطيلة ومستوية تنتهي بدلايات ويعلوها صف من الشرفات [1]. وإطار المحراب إرتفاعه 2 متر وعمقه (60) سم وعرضه (50) سم (شكل 10) يوضح شكل المحراب.

شكل 10. يوضح محراب جامع الجمعة العتيق [الباحثين, 2018]

و. مواد البناء :

المسجد بني من قطع صغيرة من الحجر المخلوط بالملاط وأستخدم الحجر الرملي في تشييد الأقبية والقباب والدعائم والعقود بينما دعمت الجدران الخارجية بدعامات ومصاطب عريضة من الحجارة الصغيرة المخلوطة بالملاط يصل عرضها 1.5 متر من أسفل وتسترق من الأعلى أما الأعمدة الداخلية جلبت من عمائر رومانية قديمة (شكل 11) يوضح قباب المسجد.

ي. النقوش والزخارف :

لا توجد نقوش أو زخارف في حوائط وأعمدة المسجد بينما وجدت زخرفة بسيطة أعلى المحراب وأعلى المداخل الرئيسية.

شكل 11. يوضح شكل القباب من أعلى جامع الجمعة العتيق [الباحثين, 2018]

13. أهم الآثار السلبية في جامع الجمعة العتيق

1. التسيب والإهمال:

- عدم التقيد بالأسس والمعايير الخاصة بأعمال الحفاظ والترميم وخصوصاً ما حدث في بعض الصيانات السابقة بالإضافة إلى عدم إختيار الأوقات المناسبة لذلك.
- عدم الإلحاح وراء الجهات المسئولة وذات العلاقة بموضوع الحفاظ على المباني التراثية.

2. الأرضيات الغير مناسبة:

- تم ردم منسوب أرضية الجامع بمقدار 1 متر تقريباً وأنشئت أرضيات حديثة مما تسبب في إنخفاض إرتفاع السقف وبالتالي تسبب في إرتفاع درجات الحرارة داخل فراغ المسجد.
- عمل وإنشاء أرضيات خارجية من الخرسانة العادية حول المسجد من الجهة الشمالية الشرقية والشمالية الغربية بالإضافة إلى الفصول الدارسية وعمل سياج حول المسجد كل هذا أثر سلباً على المناخ والبيئة المحيطة (شكل 12).

شكل 12. يوضح الواجهة الشمالية الشرقية لجامع الجمعة العتيق قبل الإضافات الخارجية.

3. فتحات الأبواب والنوافذ :

- تم إستبدال الأبواب والشبابيك الخاصة بالمسجد وهي عدد 4 شبابيك وضواية بالإضافة إلى عدد 2 أبواب حيث أن الشبابيك أستبدلت من الخشب إلى ضلف داخلية من الزجاج والألمونيوم وحديد حماية من الخارج بينما الأبواب أستبدلت من الخشب إلى حديد الصاج. (شكل 13) يوضح فتحات الأبواب للمسجد.

شكل 13. يوضح فتحات الأبواب بجامع الجمعة العتيق [الباحثين, 2018]

4. الشروخ والتصدعات والتشققات :

- وجود بعض التشققات في سطح القباب من الخارج نتيجة ما جرى من أعمال في الصيانة السابقة في فترة ما يقرب من عشرين سنة مضت عندما أزيلت طبقة البياض وصادف إزالتها هطول كميات من الأمطار عل سطح المسجد ترتب عليه تسرب للمياة من السقف والعقود والجدران. كما في (شكل 14).
- نمو وظهور بعض الشجيرات والنباتات والأعشاب أعلى سطح المسجد نتيجة لوجود الأتربة وتساقط مياة الأمطار عليها الأمر الذي قد يترتب عليه إختراق جذورها للسقف وحصول تصدعات أو مشاكل إنشائية أخرى يصعب معالجتها.

شكل 14. يوضح تأثير التشققات على قباب جامع الجمعة العتيق [الباحثين, 2018]

5. التهوية الطبيعية :

دخول أشعة الشمس وحركة الهواء داخل المسجد قليلة لقلة فتحات الأبواب والنوافذ مما يؤدي إلى إرتفاع في درجات الحرارة والرطوبة النسبية.

6. أجهزة التكييف والمراوح ووحدات الإضاءة :

تم تركيب عدد 3 أجهزة تكييف فردية نظام مزدوج للجامع عدد إثنان في واجهة جدار القبلة والثالث في الجهة الموازية لها الأمر الذي تسبب في وجود تسرب للمياة الخارجة من المكيفات وحدوث رطوبة في الجدران الداخلية للجامع في المنطقة المجاورة وأسفل المكيفات كما في (شكل 15) وأدت إلى تآكل مواد البناء كالطوب الأسمنتي والطلاء بالإضافة إلى وجود مراوح ووحدات إضاءة تتمثل في المصابيح والثريات التي أستحدث فيما بعد.

شكل 15. يوضح تأثير مياة الأمطار على أقواس وأعمدة جامع الجمعة العتيق [الباحثين, 2018]

7. التشوه البصري :

- عمل وإنشاء مظلات من الحديد الصاج (الصفيح) في الجهتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية من المسجد الأمر الذي حجب عن المسجد ضوء الشمس والتيارات الهوائية وزاد في إرتفاع درجات الحرارة من جهة ومن جهة أخرى تعتبر حمل ثقيل عن المسجد حيث أسندت ركائزها على حوائط المسجد الخارجية.

8. الإضافات :

- إضافة بعض الفصول الدراسية الخاصة بتحفيظ القرآن وبعض الفراغات الخدمية في الجنوب والجنوب الشرقي بالإضافة إلى بناء سياج محاط بالمسجد من أربع جهات كل هذه المباني أصبحت تقلل من وصول التيارات الهوائية للمسجد وتساعد في رفع درجة الحرارة كما في (شكل 16).

شكل 16. يوضح حجم الإضافات بالنسبة لجامع الجمعة العتيق المتمثلة في المظلات والأرصفة [الباحثين, 2018]

14. الإستنتاجات

من خلال الدراسة والزيارة الميدانية التي أجريت لمسجد الجمعة العتيق خلص الباحثون إلى مجموعة من النتائج كالتالي:

1. نظراً لعدم وجود توثيق صحيح حسب الأسس والمعايير المتبعة بإعتباره من أهم أساليب الحفاظ والترميم فإنه يصعب ترميم مثل هذه المباني التراثية.
2. جامع الجمعة العتيق بمنطقة الزروق كغيره من المساجد ذات القيمة المعمارية والتاريخية يعاني من الإهمال وتوجد به بعض التصدعات والشروخ والرطوبة في الجدران والأسقف.

3. أعمال الترميمات والصيانات السابقة التي أجريت للمسجد كانت عمليات بسيطة وبمجهودات ذاتية لم تكن في المستوى المطلوب نظراً لقلة الإمكانيات والخبرة.
4. عدم إنسجام المباني المشيدة حديثاً مع المسجد المذكور إلى جانب الإضافات التي لحقت بالمسجد الأمر الذي أدي إلى خلق عمارة غير منسجمة ومشوهة مع الموروث المعماري الموجود.
5. ضعف الأداء الحكومي وقلة الإمكانيات المتاحة لوزارة الأوقاف وجهات الإختصاص والتي تمكنها من القيام بواجباتها من حيث الإهتمام بالمساجد والمحافظة عليها وترميمها كلما دعت الحاجة.
6. ضعف القوانين والتشريعات النافذة وعدم وجود أسس وقواعد ومعايير موحدة للتوثيق ومن تم الترميم والحفاظ على ما تبقى من التراث المعماري.

15. التوصيات

في ختام هذا البحث توصل الباحثون إلى جملة من التوصيات التي يمكن أن تساهم في الحفاظ على هذا الموروث المعماري المتمثل في جامع الجمعة العتيق وهي كالأتي:
1. إجراء مسح ميداني ورفع مساحي لجامع الجمعة العتيق بمنطقة الزروق وتوثيقه بالتاريخ والصور لكي يمكن الرجوع إليه وقراءته من قبل الأجيال اللاحقة.
2. ضرورة البدء في عمليات الصيانة والترميم للعناصر المعمارية والإنشائية لجامع الجمعة العتيق مع الأخذ بنظر الإعتبار الإحتياطات اللازمة لذلك.
3. نشر الوعي الثقافي المعماري بأهمية التراث والحفاظ على الهوية المعمارية من خلال الندوات والمؤتمرات بين المختصين والمهتمين بهذا المجال.
4. يجب عدم القيام بأي أعمال صيانة أو ترميم أو إضافات بالنسبة للمباني التراثية والتاريخية إلا بإشراف خبراء الترميم وجهات الإختصاص.
5. العمل على إدراج الحفاظ على التراث وترميم المباني التاريخية من ضمن المناهج والمقررات المتعلقة بالمؤسسات الأكاديمية.
6. تشجيع الأبحاث والدراسات العلمية المتعلقة بمجال الترميم والحفاظ على التراث المعماري والموروث التاريخي.
7. العمل على إطلاق مشروع وطني لأرشفة وتوثيق كل المباني التاريخية والأثرية وذلك بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة.
8. من الضروري أن تحظى عملية الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي بالدعم المالي اللازم من قبل الدولة إلى جانب إدخال التكنولوجيا الحديثة أو التوثيق الإلكتروني لضمان الدقة والسرعة في العمل.
9. العمل على تطبيق مفهوم الحفاظ المستدام بحيث يشمل عملية الإبقاء وصيانة المنشأ مع مراعاة القيم التراثية وعلاقتها بالنسيج الحضري وخصائص المجتمع.

المراجع

[1] مسعود رمضان شقلوف وآخرون. (1980). "موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا", الدار العربية للكتاب. تقديم ومراجعة علي مسعود البلوشي, الجزء الأول. ص: 154, 156, 157.
[2] علي مسعود البلوشي. وآخرون. (1989). موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا. مصلحة الآثار, جمعية الدعوة الإسلامية. الجزء الثاني. الطبعة الأولى. ص: 14.
[3] علي مسعود البلوشي. (2007). تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي 1551 – 1911 م. طرابلس / ليبيا, جمعية الدعوة الإسلامية.
[4] غاسبري ميسانا. (1998). المعمار الإسلامي في ليبيا. ترجمة: علي الصادق حسنين, دار الجيل. بيروت/ لبنان. الطبعة الأولى.
[5] أحمد فكري. (2009). مسجد القيروان. القاهرة / مصر. , دار العالم العربي. الطبعة الأولى.
[6] حسين مؤنس. (1981). المساجد. الكويت, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآذاب.
[7] فتح الله محمد أبو عزة. (2008). جامع رشيد باشا بمدينة درنة دراسة في العمارة الإسلامية, دار الكتب الوطنية. الطبعة الأولى.
[8] سلمان أحمد المحاري. (2011). "حفظ المباني التاريخية مبانٍ من مدينة المحرق". الشارقة / الإمارات العربية المتحدة, ص: 38. 110. 120. 124- 130.
[9] علي فهمي خشيم. عمر ارميص. "مواطن الجمال بذات الرمال", الكتاب للتوزيع والإعلان والمطابع, ص: 10- 11, 15, 34- 35, 59, 62. [10] هناء محمد عدلي حسن. (2010). موسوعة المحاريب في العالم الإسلامي, دار الكتاب الحديث. القاهرة / مصر. ص: 36.
[11] حسام عبد السلام باش إمام. (2016). "التراث العمراني في ليبيا". مجلة الهندسي, النقابة العامة للمهن الهندسية في ليبيا, العدد (50), ص: 65 – 66. [12] محمد بن هاوي با وزير. (2009). "إشكالية الحفاظ على التراث العمراني والمعماري التقليدي في اليمن وعلاقة المعماريين والأثريين والمؤرخين بعملية الحفاظ", المؤتمر الهندسي الثاني. كلية الهندسة. جامعة عدن/ اليمن, ص: 30-31.
[13] من معالم التراث العمراني. في المملكة العربية السعودية. المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية, الهيئة العامة للسياحة والآثار.
[14] نزهات مفتاح البوعيشي. (2015). "القيم الجمالية الإسلامية للعناصر المعمارية في جامع مصطفى قرجي". طرابلس / ليبيا, المؤتمر العلمي الأول (واقع التصميم والعمارة في ليبيا), ص: 239. 241.
[15] إيناس أحمد الطبولي. (2015). "التراث المعماري ودوره في تأصيل الهوية المعمارية المحلية لمدينة بنغازي". طرابلس / ليبيا, المؤتمر العلمي الأول (واقع التصميم والعمارة في ليبيا), ص: 252.
[16] يوسف محمد عبد الله. محاضرة عن الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته جامعة صنعاء / اليمن, الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات.
[17] ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
http://www.alecso.org/newsite/images/2016files/2017-02-24-13-18.pdf.
[18] قانون رقم (3) لسنة 1424. بشأن حماية الآثار والمتاحف والمدن القديمة والمباني التاريخية.
https://security-legislation.ly/ar/node/33837
[19] رولا نتيفة. وآخرون. (2014). العودة إلى التراث في العمارة العربية المعاصرة في ظل الإستدامة, مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية المجلد (36). العدد (3), ص: 373.
[20] زياد محمد شحادة. (2010). "أثر التصميم العمراني على تفعيل دور المساجد في قطاع غزة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية". رسالة ماجستير. قسم الهندسة المعمارية. كلية الهندسة. الجامعة الإسلامية غزة / فلسطين.
[21] إيزيس محي الدين عبده فهد. (2010). تجربة الترميم والحفاظ على التراث في إيطاليا " أور فيتو حالة دراسية" وإمكانية تطبيقها في فلسطين "عراق بورين حالة دراسية". رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا. قسم العمارة. جامعة النجاح الوطنية. نابلس / فلسطين.
[22] رامي سعد الدين عليان. (2015). دور مشاريع الترميم في الحفاظ على المساجد الأثرية في قطاع غزة. رسالة ماجستير. قسم الهندسة المعمارية بكلية الهندسة. الجامعة الإسلامية. غزة / فلسطين.
[23] فاطمة عبد اللطيف محمد المنتصر. (2008). "العوامل الطبيعية وأثرها على نشأة مراكز العمران ونموها في شعبية مصراتة". رسالة ماجستير. "غير منشورة". كلية الآذاب. قسم الجغرافيا. كلية الآذاب. جامعة مصراتة. مصراتة / ليبيا. ص 116, 166.
[24] أسس ومعايير التنسيق الحضاري للمباني التراثية. (2010). القاهرة / مصر. الجهاز القومي للتنسيق الحضاري. الإصدار الأول. الطبعة الأولى. ص: 16-17.
[25] ERDER. Cevat. 1986. Our Architectural Heritage: from Consciousness to Conservation, UNESCO.
[26] Nirman Bhawan. (2013). Conservation of Heritage Buildings - A Guide. New Delhi. Falcon Graphics, p.1.
[27] Robert Matthew. Johnson. Marshall. Partners.(1982) "MISURATA CENTRAL AREA PLANNING STUDY" PART 3. FINAL REPRT. Edinburgh, p.1-2.